علم المناسبات

أسماء أشرف شوقي علي (*)

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل، والصلاة والسلام علي نبينا محمد خاتم النبيّن وإمام المرسلين، جدد الله به رسالة السماء، وأحيا ببعثته سنة الأنبياء، ونشر بدعوته آيات الهداية وأتم به مكارم الأخلاق وعلي أله وأصحابه، الذين فقههم الله في دينه، فدعوا إلي سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فهدي الله بهم العباد وفتح علي أيديهم البلاد، وجعلهم أمة يهدون بالحق إلي الحق تحقيقاً لسابق وعده ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1]. فشكروا ربهم علي ماهداهم إليه من هداية خلقه والشفقة علي عباده.

أما بعد:

فإن غاية الإنسان في هذه الدنيا تحقيق العبودية لله رب العالمين التي عليها مناط التكليف وعليها تدور رحي الرسالات السماوية كلها، والعلم من أشرف مقامات العبودية إذا كان متعلقا بنصوص الوحيين الشريفين إذ هما أصل العلوم ومصدرها ورأسها، وعلم التفسير من أهم العلوم التي ينبغي لطالب العلم العناية بها إذ أن شرف العلم بشرف المعلوم، قال ابن عبد البر ــ رحمه الله[2] ــ: "فأول العلم حفظ كتاب الله عز وجل وتفهمه،

(*) هذا البحث من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [المناسبات وأثرها في استنباط معاني القرآن الكريم بين الإمامين الفخر الرازي والألوسي ـ دراسة موازنة في سورتي الفاتحة والبقرة]، تحت إشراف: أ.د. محمد محمد عثمان يوسف – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.م.د. عبد الله محمد يوسف – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(1) سورة النور ، (آية ٥٥).

(2) الإمام العلامة ، حافظ المغرب ، شيخ الإسلام أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي، القرطبي ، المالكي ، صاحب التصانيف الفائقة . مولده في سنة ثمان وستين وثلاثمائة في شهر ربيع الآخر . وقيل : في جمادى الأولى.

وكل ما يعين علي فهمه فهو واجب معه فهو من أنفع العلوم علي الاطلاق لتعلقها بكلام الله ــ عز وجل ــ وكل ما كان متصلاً بالتفسير ومتعلقاً به كان له من القدر والمنزلة بقدر تعلقه به ".[١]

قال ابن عطية ـ رحمه الله[٢] ـ: " فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم نفسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم علي قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتنها حبالاً، وأرسخها جبالاً، وأجملها آثاراً، وأسطعها نوراً ،علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و[٣]لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي استقل بالسنة والفرض ونزل به أمين السماء إلي أمين الأرض، هو العلم الذي جعل للشرع قواماً واستعمل سائر المعارف خداماً ... إلي أن قال : قال الله تعالي :﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[٤]. قال المفسرون: أي علم معانيه والعمل به".[٥]

ولما كان الأمر كذلك انبري علماء الإسلام في شتي الأقطار وعلي مر العصور لدراسة كلام رب العالمين فأفنوا أعمارهم، ونذروا حياتهم

فاختلفت الروايات في الشهر عنه .وطلب العلم بعد التسعين وثلاثمائة ، وأدرك الكبار ، وطال عمره وعلا سنده ، وتكاثر عليه الطلبة ، وجمع وصنف ، ووثق وضعف ، وسارت بتصانيفه الركبان ، وخضع لعلمه علماء الزمان ، وفاته السماع من أبيه الإمام أبي محمد فإنه مات قديما في سنة ثمانين وثلاثمائة فكان فقيها عابدا متهجدا ، عاش خمسين سنة ، وكان قد تفقه على التجيبي وسمع من أحمد بن مطرف ، وأبي عمر بن حزم المؤرخ ./ ينظر : سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي ٧٤٨هـ ١٣٧٤م ، الجزء التاسع ،أشرف علي تحقيق الكتاب وتخريج أحاديثه شعيب الأرنؤوط حقق هذا الجزء كامل الخراط ،الطبعة الأولي ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م،.(١٨/ ١٥٣).

(١) جامع بيان العلم وفضله ،لابن عبد البر، دار ابن حزم ،بيروت ،١٤٢٤هـ ،٢٠٠٣م ، (٣٢١/٢).

(٢) الإمام الحافظ ، الناقد المجود أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي ، الغرناطي المالكي . روى عنه ولده صاحب التفسير الكبير . قال ابن بشكوال كان حافظا للحديث وطرقه وعلله ، عارفا بالرجال ، ذاكرا لمتونه ومعانيه ، قرأت بخط بعض أصحابنا أنه سمعه يذكر أنه كرر على " صحيح البخاري " سبعمائة مرة قال : وكان أديبا شاعرا لغويا ، دينا فاضلا ، أكثر الناس عنه ، وكف بصره في آخر عمره ، وكتب إلينا بإجازة ما رواه .مولده في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، وله سبع وسبعون سنة ، رحمه الله . ينظر :سير أعلام النبلاء، (١٩ / ٥٨٦).

(٤) سورة المزمل، آية ٥ .

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٣هـ،(٣٤/١).

لخدمة كتاب الله حتي استخرجوا درره واقتنصوا شوارده، ونهلوا من معينه فتركوا لنا تراثاً نافعاً من التفاسير العظيمة التي لا غني لأي طالب علم عنها، منها مفاتيح الغيب للإمام العلامة الفخر الرازي المتوفي (٦٠٥هـ) تقريباً، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام العلامة أبي الثناء الألوسي(المتوفي ١٢٧٠هـ) .
فإن السلف الصالح أولوا كتاب الله تعالي عناية خاصة، تمثلت في حفظه وتفسيره وعكفوا علي دراسة ما جاء فيه من علوم، من تلك العلوم (علم المناسبات) فلاحظوا أن هناك تناسباً وترابطاً وثيقاً بين الآيات، وكأنها نظم من الدرر فاعتنوا بها وكتبوا فيها كتبا مستقلة.

فمن العلماء الذين ضمنوا ذلك العلم في تفاسيرهم: الإمام الفخر الرازي في تفسيره

(مفاتيح الغيب) والإمام الألوسي البغدادي في تفسيره (روح المعاني) ففي أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع عاش فخر الدين الرازي أكثر المفسرين اهتماماً بعلم مناسبات القرآن إيراداً وتطبيقاً، قال السيوطي:" وعلم المناسبات علم شريف، قل اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين الرازي .أ.هـ [1].

ولما ترك الألوسي منصب الإفتاء بالعراق تفرغ لتفسير القرآن الكريم وتعلقت به نفسه رغبة لإتمام هذا العمل، فكان في أحياناً كثيرة يقوم من نومه ويترك فراشه حين يخطر بذهنه معني جديد لم يذكره المفسرون السابقون عليه، ولا يهدأ له بال حتي يسجل خواطره في كراريسه وعندئذ يعود إليه الهدوء ويزول عنه القلق والتوتر ويذهب الي فراشه ويستسلم للنوم.

ثم ألف البقاعي إبراهيم بن عمر(ت:٨٨٥هـ) في علم المناسبات كتاب(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وهو أول من كتب تفسيراً خصه بالتناسب بين السور والآيات، وله فيه آراء واختيارات يمكن قبول كثير منها.

وفي العصر الحالي لقي هذا العلم الكثير من الاهتمام والرعاية ضمن تفاسير القرآن والمؤلفات في علوم القرآن وإعجازه، فاعتني

---

(١) قال سليمان الندوي في ترجمته "كان يعتقد أن القرآن مرتب بيانه، ومنسقة النظام أيا ته، وكل ما تقدم أو تأخر من سوره وآيه بني علي الحكمة والبلاغة، ورعاية مقتضي الكلام، فلو قدم ما أخر، وأخر ما قدم لبطل النظام، وفسدت بلاغة الكلام ،وكان يري أن القرآن يفسر بعضه بعضاً " انظر امعان في اقسام القرآن لعبدالحميد الفراهي ط، المطبعة السلفية ١٣٤٣هـ، من ترجمة له في ذيل الكتاب، (ص : د).

به في الهند (عبد الحميد الفراهي) الذي ألف فيه تفسيرا سماه (نظام الفرقان وتفسير القرآن بالقرآن) نشر منه عدة رسائل.

ولما كان هذا العلم بهذه المكانة والرازي والألوسي فيه بتلك المنزلة، أحببت أن يكون موضوع رسالتي للماجستير هو: "المناسبات وأثرها في استنباط معاني القرآن بين الإمامين الفخر الرازي والألوسي دراسة موازنة في سورتي الفاتحة والبقرة"

رغبةٌ مني في بيان تاريخ هذا العلم ومعرفة أشهر المهتمين به وتجلية لفوائده واستنباطاً لقواعده وضوابطه، وتطبيقاً لجوانب من ذلك في تفسير الرازي والألوسي لسورتي الفاتحة والبقرة من التفسير الكبير المعروف ب (مفاتيح الغيب) وتفسير الألوسي (روح المعاني). كالاهتمام بالإشارة الي التناسب وبيان أوجه الترابط في الآية والمقاطع والتنبيه علي تميزه بمعرفة دقيقة وإبراز جيد للتناسب.

أولاً: التعريف بعلم المناسبات:

نتناول فيما يلي بعض التعريفات لعلم المناسبات علي سبيل المثال وليس الحصر ...

(١) المناسبة عند اللغويين:

بالنظر في معني المناسبة عند اللغويين يظهر أنها تعددت تعريفاتها لديهم فيقول الزبيدي(ت :٣٧٩ه) [١]: " ومن المجاز: المناسبة: المشاكلة، يقال بين الشيئين مناسبة وتناسب، أي مشاكلة وتشاكل، وكذا قولهم:" لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة "[٢].

ويقول ابن فارس(ت٣٩٥هـ) يقول: "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء ومنه النسب سمي لاتصاله وللاتصال به".[٣]

---

[١] الزبيدي: هو محمد بن الحسن بن عبدالله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر، عالم في اللغة والأدب، ولد ونشأ واشتهر في أشبيلية، ولد عام ٣١٦هـ، وولي قضاء أشبيلية وتوفي بها عام ٣٧٩هـ، ومن تصانيفه: "الواضح ـ خ" في النحو، و" طبقات النحويين واللغويين"./ ينظر الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، ج٦، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢، (١٧٤).

[٢]تاج العروس، للزبيدي،(٢٦٥/٤).

[٣]مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس،(٤٢٢/٥).

وعند الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)[١]، يقول: "النسب والنسبة اشتراك من جهة الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول، كالاشتراك بين الآباء والأبناء، ونسب بالعرض كالنسبة بين الإخوة وبني الأعمام"[٢]، قال تعالي: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [٣] وقد عرّف الإمام الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، المناسبة فيقول: "واعلم أن المناسبة علم شريف تحذر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلاناً، أي: يقرّب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل، كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعني رابط بينهما، وهو القرابة".

(٢) معني المناسبة عند الأصوليين:

اعتنى الأصوليون بمناقشة مسالك التعليل ضمن أبواب القياس، ومن المواضيع التي تطرق لها الأصوليون المناسبة بوصفها ــ مسلكًا من مسالك التعليل ــ إلا أن أغلبها اقتصر علي جانب أو أكثر من المواضيع المتعلقة بالمناسبة، وسنحاول إن شاء الله القاء الضوء علي أشهر وأقوى المتعلقات الأصولية المتصلة بالتعليل والمناسبة.

فالمناسبة هي إحدي مسالك التعرف على العلة، وتُعرف أيضاً بالإحالة، لتخيل المستنبط أن هذا الوصف للحكم علة.

يقول الزركشي[٤] : " وهي من الطرق المعقولة، ويعبر عنها بالإخالة، المصلحة، الاستدلال ورعاية المقاصد والمناسبة ثمرة من ثمرات إجراء التقسيم للحصول علي العلة المناسبة[٥].

---

[٢] الراغب الأصفهاني: النحوي اللغوي المفسر: حسين بن محمد بن المفضل، الأصفهاني، أو الأصبهاني (بالباء)، المعروف بالراغب، أبو القاسم. من مصنفاته:" مفردات ألفاظ القرآن"، "الزريعة في مكارم الشريعة" و"مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة"، وغير ذلك. توفي ـ رحمه الله ـ في المائة الخامسة للهجرة ، وقيل سنة (٥٠٢هـ) وقيل غير ذلك./ انظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة ، من القرن الأول الي المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشئ من أطرافهم ،جمع وإعداد وليد بن أحمد بن الحسين الزبيري، المجلد الأول، الطبعة الأولي ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، (٨٠٣-٧٩٣). المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني،(١٠٨/١).

[٣] الفرقان، آية ٥٤

[٤] الزركشي: هو محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، أبو عبدالله بدرالدين، عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المول والوفاة، ولد سنة ٧٤٥هـ، وله تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة علي الصحابة ط "، و" لقطة العجلان ـ ط" في أصول الفقه، و" البحر المحيط " في أصول الفقه .وتوفي عام ٧٩٤هـ./ ينظر :الأعلام ،للزركلي ،(٦٠/٦)

[٥] أصول الفقه، وهبه الزحيلي، (٦٧).

ويسمي استخراجها تخريج المناط؛ لأنه إبداء مناط الحكم[١].
وقال ابن النجار الفتوحي: "إن أنواع المناسبة تتفاوت في العموم والخصوص، والخفاء والظهور، فما خُفيت عنا مناسبته سمي تعبدًا، وما ظهرت مناسبته سمي معللا"[٢].
ونقل الزركشي عن الدبوسي[٣] قوله في المناسبات: "ما لو عرض علي العقول تلقته بالقبول"[٤].
وعرف الدكتور اليوبى المناسبة قائلاً: " أن يكون بين الوصف والحكم ملائمة، بحيث يترتب علي تشريع الحكم عندها تحقيق مصلحة مقصودة للشارع من جلب منفعة أو دفع مفسدة "[٥].
هذا وقد حاولت الاعتماد على كتب علماء الأصول القدامى قدر المستطاع، إلا ما استشكل لفظه أو عسر فهمه أو احتاج لحسن تقسيم وترتيب، فأرجع لكتب المعاصرين تبييناً وتوضيحاً.
أما بالنسبة لعلاقة المناسبة بالمواضيع الأصولية الأُخري ومقاصد الشريعة فأغلبها تم دراسته ضمن مشاريع علمية معاصرة، فرغم أن قدامي الأصوليين ناقشوه وفحصوه إلا أنهم في الغالب لم يفردوه بمؤلفات، وبقي متناثراً في بطون الكتب متفرق المواضيع بين الفصول والأبواب، ولذلك كانت كثير من مراجع هذا الموضوع معاصرة ليسر الوصول للمعلومة فيها.

---

[١] البحر المحيط ٢٦٣/٧، ارشاد الفحول ـ الشوكاني (٦٢٦/٢).
[٢] شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي ، (٢٥٠)
[٣] الدبوسي: الدّبوسيّ: بفتح الدال المهملة وضم الباء الموحدة وبعدها واو ساكنة وسين مهملة، هذه النسبة إلى دبوسة، وهي بليدة بين بخارى وسمرقند نسب إليه جماعة من العلماء، هو أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدّبوسيّ الفقيه الحنفي؛ كان من كبار أصحاب الإمام أبي حنيفة، رضي الله عنه، ممن يضرب به المثل، وهو أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود، وله كتاب الأسرار والتقويم للأدلة وغيره من التصانيف والتعاليق، كان له بسمرقند وبخاري مناظرات مع الفحول، توفي ببخاري سنة ثلاثين وأربعمائة ./ انظر : / الأنساب للسمعاني الإمام أبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفي سنة ٥٦٢هـ ـ١١٦٦م،اعتني بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليماني ، الجزءالخامس ، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (٣٠٥).
[٤] انظر : المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي ،رسالة ماجستير للطالب /عبدالله بن مقبل بن ظافر القرني ،إشراف الدكتور /عبدالحميد الأمين ١٤١٢هـ ـ١٤١٣هـ ، (٢٠).
[٥] البحر المحيط ٢٦٣/٧، ارشاد الفحول ـ الشوكاني (٦٢٦/٢).

(٣) تعريف المناسبة عند علماء علوم القرآن:

وبعد أن تطرقنا إلى تعريف المناسبة عند اللغويين والأصوليين، نتطرق إلى تعريفها عند علماء علوم القرآن.

فلا شك أن بعضاً ممن سبق ذكر أسمائهم من أهل اللغة والبلاغة والأصول هم من المهتمين بعلوم القرآن، ولم يظهر لدى علماء علوم القرآن تعريف مبكر لعلم المناسبة لاشتغالهم بالتطبيق أكثر من التقعيد، فقد بنو تعريفاتهم على ما تقدم من أقوال في تعريف المناسبة.

فالزركشي يعرف المناسبة بادئاً بالتعريف اللغوي، ثم بتهذيب لتعريف الدبوسي

فقال:" المناسبة في اللغة المقاربة، وفلان يناسب فلانا أي: يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعني رابط بينهما ، وهو القرابة. ومنه المناسبة في العلة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل المناسبة أمر معقول، إذا عرض علي العقول تلقته بالقبول، وكذا المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها والله أعلم إلى معني ما رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو التلازم الذهني أو التلازم الخارجي كالمرتب علي ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"[١].

وهنا يتضح أن الزركشي قد بدأ بتعريف عام للمناسبة، وأبرز الأصل اللغوي وبين أن العقول تقبلها، ثم عقب بعد ذلك بالحديث عن المناسبة في القرآن، فأوضح أنها لا تخرج عما تقدم، لكنه وضع إطار وقاعدة للقول بالمناسبة في القرآن الكريم، فإنه لابد من أن يكون بين المتناسبين من آي أو سور أو مقاطع من معني رابط يربط بينهما وهي ما يأتي من أنواع رابطة.

ثم جاء البقاعي[٢] وعرف المناسبة بتعريف عام ثم بتعريف المناسبة في القرآن الكريم خاصة. أما التعريف العام قال: "علم تعرف منه

---

[١] البحر المحيط ٢٦٣/٧، ارشاد الفحول ـ الشوكاني (٦٢٦/٢).

[٢] البقاعي : هو إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرُباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الإمام الكبير برهان الدين، ولد تقريباً سنة ٨٠٩هـ، وله مؤلفات كثيرة فهو من المتقنين المتبحرين في العلم، ومن هذه المؤلفات "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، وتوفاه الله بعد أن تفتت كبده كما قيل، في ليلة السبت ثامن عشر رجب سنة ٨٨٥هـ، ودفن خارج دمشق من جهة قبر عاتكة./ينظر : الأنساب للسمعاني الإمام أبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفي سنة ٥٦٢هـ ـ١١٦٦م،اعتني بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، الجزء السابع ، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ص(٢٠ـ١٩).

علل الترتيب" ،والمقصود أن ما يعرف بسببه، لِّم قدم شيء علي شيء ولِّم كان هذا سابقاً وهذا لاحقاً، فهو من باب علم التناسب.
أما التعريف الخاص لمناسبات القرآن الكريم فهو علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه[١].
وتعريف البقاعي المتقدم تعريف جامع إذ يشمل مناسبة الآية والمقطع والسورة، ولعله اعتمد علي ما تقدم من تعريف الزركشي، مثل ضرورة وجود رابط يربط بينهما علي ما تقدم، لكن البقاعي اكتفي من تعديد الروابط بما صاغه في التعريف السابق وفيه إشارة الي الروابط التي ترجع إليها المناسبة بقوله تعرف منه علل ترتيب أجزائه.
ويقول الشيخ عبد الحميد الفراهي الهندي (ت ١٣٤٩هـ) ـ وقد أطلق علي التناسب اسم النظام ــ :"ومرادنا بالنظام ــ أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة "[٢].
وعلي هذا الأصل ترى القرآن كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلي الأخر.

أما الدكتور محمد بازمول فقد عرف المناسبة على أضرب ثلاثة:
الأول: في اللغة: المناسبة مصدر من ناسب يناسب مناسبة ، ومادة (النون والسين والباء) تدور حول معني اتصال شيء بشيء، ومنه النسيب سمي لاتصاله وللاتصال به، تقول فلان نسيب فلان تعني أنه متصل به بنوع قرابة.
الثاني: في الاصطلاح العام: المناسبة هي علة الترتيب.
الثالث: عند علماء علوم القرآن العظيم: مناسبات القرآن العظيم هي علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض، أو بعبارة أخرى مناسبات القرآن العظيم هى المعني الذي يربط بين سوره وآياته ،وإذا كان العلم الوضعي هو معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المندرجة تحت جهة واحدة .فإن علم المناسبات هو معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض[٣].
وجاء أيضاً في مباحث التفسير الموضوعي أن المناسبة في اللغة: هي المقاربة والمشاكلة.

---

[١] نظم الدرر ، للبقاعي (٥/١) ط دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الهند ١٣٨٩هـ .
[٢] دلائل النظام ، للشيخ عبدالحميد الفراهي الهندي ، ص(٧٥).
[٣] انظر: علم المناسبات في السور والآيات ، للدكتور محمد بازمول ، (٣٧).

وفي الاصطلاح: هي الرابطة بين الشيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني: ارتباط السورة بما قبلها وبما بعدها[١].

ثانياً: نشأة علم المناسبات والتأليف فيه:

(١) بدايات علم المناسبات:

أدرك فصحاء العرب تناسب القرآن وترابطه وتأثيره في النفوس والقلوب، وإن قالوا فيه أقوالا دفعهم اليها العناد والاستهزاء إذ قالوا أساطير الأولين، وقالوا : هو سحر يؤثر قالوا هذا بألسنتهم مع اعترافهم بأثره في قلوبهم وأنه ليس بشيء مما قالوا .

بل صرح بذلك من قال فيه هذه القالة كما روي الحاكم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :" إن الوليد بن المغيرة جاء الي النبي ــ صلي الله عليه وسلم ــ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قوم يريدون أن يجمعوا لك مالاً . فقال: لم ؟ قال ليعطوكه . فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله . قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال : فقل قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول فو الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا قصيدة مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلي عليه، وإنه ليحطم ما تحته . قال : لا يرضي عنك قومك حتي تقول فيه، قال فدعني أفكر، فلما فكر قال هذا سحر يؤثر - يأثره عن غيره ". - فنزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [٢][٣]

بل إن الأعرابي بسليقته وفطرته يستشعر المناسبات في القرآن العظيم؛ يقول الأصمعي:" كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي، فقرأت هذه الآية﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٤] فقلت :(والله غفور رحيم) سهوا، ثم تنبهت فقلت:﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ فقال أصبت، فقلت: كيف عرفت ؟ قال: يا هذا (عزيز حكيم) فأمر بالقطع . فلو (غفور رحيم) لما أمر بالقطع ،وحكي أن أعرابياً سمع قارئا يقرأ: ﴿

---

[١] انظر: مباحث التفسير الموضوعي، مصطفي مسلم، دار القلم، بيروت، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م ، (٥٨).

[٢] سورة المدثر ، آية١١.

[٣] انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، (٣٩٤/٥).

[٤] سورة المائدة ،آية٣٨.

فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ [1] (غفور رحيم)، ولم يكن يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، ومر بهما رجل فقال تقرأ هذه الآية قال الرجل: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ فقال : هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراء عليه، وتعرف هذه المناسبات بمناسبة ختم الآية بأسماء الله الحسني "[2].

كما تُلتمس الإشارة إلى المناسبات في أحاديث النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ فقد جاء عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ قال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب.

ففي هذا الحديث الشريف بيان مناسبة وعلاقة الفاتحة بالقرآن العظيم، فهي فاتحته، وكما جاء في الحديث عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ قال:" من صلي صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثاً غير تمام"، فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام ؟ فقال: اقرأ بها في نفسك؛ فإني سمعت رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ يقول :" قال الله تعالي قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالي: حمدني عبدي . وإذا قال الرحمن الرحيم، قال الله تعالي: أثني عليَ عبدي، وإذا قال مالك يوم الدين، قال :مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إليَ عبدي. فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين، قال :هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال:{ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين }، قال :هذا لعبدي ولعبدي ما سأل" .

قال البخاري ـ رحمه الله ـ وسميت أم الكتاب لأنه يُبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة، وقد قيل سميت أم القرآن لاشتمالها علي المعاني التي في القرآن من الثناء علي الله والتعبد بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وعلي ما فيها من ذكر الذات والصفات والفعل، واشتمالها علي ذكر المبدأ والمعاد والمعاش، وهذا النوع من المناسبات يعرف بمناسبة اسم السورة لمضمونها ومقصودها[3].

---

[1] سورة البقرة ، آية٢٠٩.

[2] انظر: علم المناسبات في السور والآيات ، للدكتور محمد بازمول ،(٢٢-٢٣).

[3] انظر: علم المناسبات في السور والآيات ،للدكتور محمد بازمول، (٢٠-٢١-٢٢).

(٢) أول من أظهره، وأهم المؤلفات فيه:

يعد العلماء أبا بكر النيسابوري (ت ٣٢٤هـ) أول من أظهر علم المناسبات في بغداد، وكان يزري على علماء بغداد لجهلهم وجوه المناسبة بين الآيات، وكان إذا قرئت عليه آية أو سورة يقول: لِمَ جُعلت هذه الآية إلى هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة[١].

ويذكر العلامة الدكتور نور الدين عتر أن أول ما بدأ به علم المناسبات شذرات علي لسان السلف ــ رضي الله عنهم ــ يستأنسون بها في تفسير القرآن ولا سيما في اجتهاداتهم وحواراتهم، وذكر أيضاً أن ظهور هذا الفن مسجلاً كان عند الإمام أبي جعفر الطبري في تفسيره، ثم جاء أبو بكر النيسابوري (ت سنة ٣٢٤ ه) فعني به في دروسه واستعلن به علي رؤوس الأشهاد، ثم جاء الزمخشري (ت سنة ٥٣٨ هـ) وجعل للمناسبة حظاً في كتابه الكشاف، ثم جاء الفخر الرازي (ت سنة ٦٠٦هـ) بكتابه مفاتيح الغيب الذي اعتني بالمناسبات من جملة ما اعتني به من العلوم[٢] .

وقد ألف علماؤنا في أسرار علم المناسبات تواليف كثيرة منهم العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن) . وكذلك الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) ، وحيث يقول: "وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمّنه مرتبا من جميع وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة ، وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته(تناسق الدرر في تناسب السور)" [٣].

وفي نهاية القرن الرابع الهجري وعلي مشارف القرن الخامس الهجري عاش الإمام أبو بكر بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) فأتم المسيرة التي بدأها علماء القرآن في القرن الرابع الهجري لبيان أسلوب القرآن وترابطه. وقد بدأ كتابه موضحًا أن نبوة محمد ـ عليه السلام ـ بنيت علي القرآن، وأن السور المبدوءة بالحروف المتقطعة إذا تأملتها فهي من أولها الى أخرها مبنية علي لزوم حجة القرآن والتنبيه علي وجه معجزته، وفي هذا تنبيه علي ترابط أجزاء السورة، وإشارة لوحدة موضوعها. وضرب مثالاً علي ذلك بسورة غافر التي درسها دراسة تحليلية رابطاً بين أجزائها[٤].

---

[١] انظر: البرهان، للزركشي، ١٣٢/١.

[٢] تأملات في المناسبات ودراسة تطبيقية من القرآن الكريم ، د. نور الدين عتر، (٣٦).

[٣] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، الشيخ برهان الدين البقاعي ،(٣/١).

[٤] انظر: اعجاز القران للباقلاني ، (١٤-١٣).

وممن تعرض للمناسبة في القرن السادس الهجري الإمام ابن عطية الأندلسي حيث قال في مقدمة تفسيره عند حديثه عن الأحرف السبعة: "إن جبريل عارض بها في عرضاته علي الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الرصف". ثم قال: "القول الذي عليه الجمهور والحذاق - وهو الصحيح في نفسه - أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه".[١] ويكثر الإمام ابن عطية في تفسيره من الربط بين الآيات.

ومن المعاصرين الذين اعتنوا عناية كبيرة بعلم المناسبات العلامة عبدالله بن الصديق الغماري ، حيث أفرد علم المناسبات بالتصنيف في كتابه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)، وكذلك العلامة عبد الحميد الفراهي الهندي صاحب تفسير(نظام القرآن)، حيث جعل الهدف من تفسيره بيان الوحدة الموضوعية وعرضها، ولأن كان الفراهي قد انتقل الي الرفيق الأعلى قبل إكمال تفسيره، فقد ترك لنا بعض الكتب التي تحدث فيها عن هذا التناسق، ومن أشهر هذه الكتب (دلائل النظام) و(أساليب القرآن) و (التكميل في أصول التأويل) [٢]

<u>ومن مجمل ما سبق يمكن تقسيم التصنيف في علم المناسبات إلى ثلاثة أقسام :</u>

(١)- من أفرده بالتصنيف: ومن أشهرهم ابن الزبير الغرناطي في كتابه (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن)، والبقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي) والسيوطي في كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور)، وكتابه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، وعبدالله بن الصديق الغماري في كتابه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)، وعبدالحميد الفراهي الهندي في كتابه (دلائل النظام).

(٢)- المفسرون الذين عنوا بتناول المناسبات في تفاسيرهم: ومن أشهرهم الفخر الرازي والزمخشري وابن عطية والألوسي وأبو السعود.

(٣)- الذين جعلوه نوعًا من أنواع علوم القرآن وتناولوه في مصنفاتهم: وأشهرهم الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) ، والزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، والسيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن).

<u>ثالثاً: أهمية علم المناسبات ومكانته في التفسير :</u>

علم المناسبات علم جليل القدر وقد نبه علي أهميته عدد من العلماء من أبرزهم الفخر الرازي حيث قال: " أكثر لطائف القرآن

---

[١] المحرر الوجيز ،لابن عطية (٤٥/١).

[٢] انظر: مناسبة الفواصل لآياتها دراسة تطبيقية لنماذج من آيات القرآن الكريم، د. رياض محمود قاسم،١٤٣٢هـ، ٢٠١١م ، (٥).

مودعة في الترتيبات والروابط ". وقال السيوطي في معترك الأقران " علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته "[١].
وقال البقاعي في نظم الدرر :"وهو سر البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال وتتوقف الإجازة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو"[٢].
<u>وترجع أهمية علم المناسبات إلى ما يأتي:</u>
(١) ــ علم مناسبات القرآن من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلي فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم وتذوق لنظم القرآن وبيانه المعجز، والي معايشة جو التنزيل، وكثيراً ما يأتي الي ذهن المفسر علي شاكلة استشراقات فكرية وروحية، وقد اعتبر بعض المفسرين أن نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو.
(٢) ــ من خلال علم المناسبات يتبين لمتدبر القرآن أن أجزاء الكلام بعضها آخذاً بعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلاءم الأجزاء. يقول الإمام البقاعي : " وبهذا العلم يَرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب وذلك لأنه يكشف أن للإعجاز طريقتين، أحدهما : نظم كل جملة علي حيالها بحسب التركيب، الثاني: نظمها مع أختها بالنظر الي الترتيب "[٣].
ويقول العز بن عبد السلام: " المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بأخره، فإن وقع لأسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث، فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة، وإذا كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض"[٤].
(٣) ــ فهم مراد الله تعالي في كتابه، وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ أو التأويلات المغالى فيها، يقول الدكتور/ صلاح الخالدي :" استند كثير من القدامى والمعاصرين علي هذا الجزء من قوله

---

[١] معترك الأقران في اعجاز القرآن ، لجلال الدين السيوطي (٤٣/١).
[٢] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،لبرهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي ، (ت : ٨٨٥هـ) دار الكتب الإسلامية بالقاهرة ، (٣٥/١).
[٣] مباحث في التفسير الموضوعي ، للدكتور مصطفي مسلم ، (٥٨ -٥٩).
[٤] الاتقان في علوم القرآن(٣٧٠/٣).

تعالي علي لسان العزيز ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[١]، في القول بأن ذلك تقرير الإلهي بأن كيد النساء عظيم، حيث غفلوا عن أن القائل هو العزيز، وكون القرآن أورد قوله لا يعني بالضرورة موافقته عليه، وكم قد اقتبس القرآن من أقوال الكفار والمنافقين، فضلاً عن أن هذا القول من العزيز دليل علي ضعف شخصيته وعجزه أمام انحراف زوجته "[٢].

(٤) ــ أن المناسبة في أحايين كثيرة تكون مفتاح معرفة حِكم القرآن ودرره، والدليل علي ذلك قول الإمام الرازي: " إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط "[٣]، وقد أكد البقاعي أن المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر[٤]. ويقول الشيخ عبدالحميد الفراهي :"ولما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النظم، فمن ترك النظر فيه ترك من معني القرآن معظمه "[٥].

يقول الدكتور/ طارق مصطفي محمد: " ويجد القارئ أن المفسرين المشتغلين بعلوم القرآن والدراسات القرآنية، كثيراً ما يتوقفون عند السر في اختتام آية ببعض الأسماء الحسني واختتام غيرها بغيرها، وكذلك التوقف عند ما أسموه براعة الاستهلال بالنسبة لسورة معينة، أو حسن اختتامها، والمعني من تتالي آيتين أو سورتين، زائداً علي القول السابق في تفسير كل منها على حدة ومثلته في ترتيب المواضع في الآية الواحدة كالسر في ترتيب أركان الايمان في الآية الكريمة﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾"[٦].

أو الحكمة في ترتيب وجوه البر في قوله تعالي {ليس البر}، والمعاني من كون الفاتحة في أول المصحف والمعوذتين في أخره"[٧].

---

[١] سورة يوسف (٢٨)

[٢] القصص القرآني ، للدكتور صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م، (٢/ ١٢٧).

[٣] التفسير الكبير، للرازي، (٤/ ١١٠).

[٤] انظر :نظم الدرر ، للبقاعي ، (٨).

[٥] دلائل النظام ، للشيخ عبدالحميد الفراهي ، (٣٨).

[٦] سورة البقرة ، آية ١٧٧.

[٧] التناسب في سورة البقرة ، للدكتور طارق مصطفي محمد ، (٥٧).

(٥) ـ المناسبة تكشف أهمية الأمور وقدرها، وقد مثل الدكتور/ طارق مصطفي لذلك بقوله:" ومثال ذلك معرفة سر اقتران طاعة الرسول ـ صلي الله عليه وسلم ـ بطاعة الله تعالي في كثير من الآيات، ومغزي مجيء الزكاة بعد الصلاة في عدة مواطن في كتاب الله وأهمية الاحسان بالوالدين، إذ جاء تاليا للأمر بالتوحيد في أكثر من موطن"[١].

وينقل الدكتور/ محمد عناية الله سبحاني عن الإمام عبدالحميد الفراهي الهندي قوله: "وقد عظم بيان الجمعة عندي حين علمت كيف مهد الله قبلها من ذكر تسبيح ما في السماوات والأرض، وصفاته الحسني، وفضله علي الأمة، وخسران اليهود علي استخفافهم بحكم الله، فقد رغب ثم رغب ثم رهب ثم ذكر أحكام الجمعة "[٢].

(٦) ــ ومن أهمية علم المناسبات دفع ما يتوهم أنه تكرار في القرآن، تحدث كثير من المفسرين والبلاغيين عن التكرار وذكروا أن القرآن خال من التكرار، وأن ما به مما يوهم وجود التكرار فإنما هو تشابه، وقد تحدث البقاعي عن التناسب وأهميته في دفع توهم التكرار بقوله :" وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعني أُدْعِيَ في تلك السورة، استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له"[٣].

(٧) ــ يساعد علم المناسبة في ملاحظة اقتباس النبي ــ صلي الله عليه وسلم ــ وصحابته من القرآن ونظمه، وتوجد أحاديث كثيرة ورد فيها تناص ومناسبة مع كثير من آيات القرآن الكريم، يقول الدكتور محمد عناية الله سبحاني: " إذا تأمل الباحث نظام الآيات ورباط معانيها، ثم وصل إلي ما يجد له تأييداً في كلام النبوة وآثارها ازداد بذلك ثقة وارتياحاً الي ما فتح الله عليه من خزائن حكمته كما ازداد انشراحاً واقتناعاً بصحة ذلك الحديث الذي وجد له أصلاً في تنزيله "[٤].

ومن أمثلة ذلك ما جاء عن النبي ـ، صلي الله عليه وسلم ــ أنه قال: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له

---

[١] إمعان النظر في نظام الآي والسور ، (١٩)

[٢] نظم الدرر ، للبقاعي ،(١ / ٨).

[٣] المرجع نفسه ، (٦٤/١).

[٤] إمعان النظر في نظام الآي والسور ، للدكتور محمد عناية الله سبحاني ، (٢٥٨).

وجاء"[١]. فهذا الحديث مستفاد أو مسترفد من قوله تعالي ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾. [٢] ففي الآيتين أمر للمؤمنين والمؤمنات بحفظ الفرج وغض البصر خشية الوقوع في الزنا وفي الحديث أمر بالزواج للمستطيع، وأمر بالصوم لمن لا يستطيع خشية الوقوع في الزنا، فحدثت بذلك مناسبة وتناص بين الآية والحديث، فالآية مثلت رافداً للحديث ومعين أخذ منه النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ.

أما القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ /١١٤٨م) فقد كشف عن منزلة هذا العلم بقوله "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتي تكون كالكلمة الواحدة متسقة.

المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله ـ عز وجل ـ لنا فيه، فلما لم نجد له حملةً ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه ".[٣]

ويقول العلامة محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨): "أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشوًا وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً؛ فإذا هي – لو تدبرت – بنيةٌ متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس و أصولٍ، وأقيم على كل أصلٍ منها شُعبٌ وفصول، وامتد من كلِّ شعبةٍ منها فروعٌ تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما

[١] البخاري كتاب الصوم ، حديث رقم (١٩٠٥) .
[٢] سورة النور ، آية(٣٠- ٣١).
[٣] البرهان في علوم القرآن ، الزركشي بدرالدين ، دار المعرفة ، بيروت(٣٦/١).

تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيانٍ واحدٍ قد وضع رسمه مرَّة واحدةً، لا تحسُّ بشيءٍ من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيءٍ من الانفصال في الخروج من طريقٍ إلى طريقٍ؛ بل ترى بين الأجناس المختلفة تمامَ الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامن، والالتحام، كل ذلك بغير تكلفٍ ولا استعانةٍ بأمرٍ من خارج المعاني أنفسها، إنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرضٍ ومقطعه وأثنائه يريك المنفصل متصلاً والمختلف مؤتلفاً"[١].

رابعاً: أنواع علم المناسبات:

تعددت أنواع المناسبة في القرآن الكريم وتشاكلت فمنها:

١) المناسبة بين الآية وما قبلها مباشرة.
٢) المناسبة بين الآية وما قبلها عموماً.
٣) المناسبة بين الآية وما بعدها من نفس الموضوع.
٤) المناسبة بين الآية وأول السورة.
٥) المناسبة بين جزء الآية وصدرها.
٦) المناسبة بين ختام الآية وصدرها.
٧) المناسبة بين صدر الآية وخاتمة التي قبلها مباشرة.
٨) المناسبة بين ختام الآية والآية التي قبلها مباشرة.
٩) المناسبة بين صدر الآية وما قبلها من الآيات عمومًا.
١٠) المناسبة بين أوائل السور وأواخر ما قبلها.
١١) المناسبة بين أخر السورة وأولها.
١٢) المناسبة بين مجموعة سور.
١٣) المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها.
١٤) المناسبة بين اسم السورة ومضمونها[٢].

وجاءت أنواع المناسبة عند الدكتور محمد بازمول مقسمة كالتالي:

القسم الأول: المناسبات الداخلية وهي الأنواع الآتية:

النوع الأول: مناسبات ترتيب آيات السورة الواحدة، وتعلق بعضها ببعض وارتباطها وتلاحمها وتناسقها. والنوع الثاني: مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له، وذلك براعة استهلال .والنوع الثالث: مناسبة ختام السورة لمطلعها. والنوع الرابع: مناسبة فواصل الآي للآية التي ختمت بها، ومنه مناسبة أسماء الله الحسني للآية

(١) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، (٣٠/١).
(٢) المناسبة في القرآن الكريم ، محمود حسن عمر ، (٢٨-٢٩).

التي ختمت بها. القسم الثاني المناسبات الخارجية وهي الأنواع الآتية:
النوع الأول: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها. والنوع الثاني: مناسبة ختام السورة لمطلع السورة التالية لها. والنوع الثالث: مناسبة مطلع السورة لمطلع السورة التي تليها.
وهناك نوع يدخل في القسمين، فلا ينظر فيه إلي سورة بمفردها مع سورة أخري، ولا إلي آية بمفردها مع آية أخري وهو مناسبة موضوع مجموعة من السور لمجموعة من السور أو لسورة، ومناسبة موضوع مقطع من الآيات في السورة لمقطع آخر.

الخاتمة

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله الحمد أن هدانا بالآيات البيات والصلاة والسلام علي شفيعنا يوم القيامة محمد ـ صلي الله عليه وسلم ، وبعد....

فمن خلال هذا البحث يتبين لنا جانب من جوانب إعجاز الكتاب العزيز ، وأن لهذا العلم فائدة عظيمة تعين علي حسن فهم وتدبر القرآن ،فهو السبيل لفهمه ،وهو الطريق لتسهيل حفظه ، وحري بكل طالب علم أن يلم به ، وأن يتعرف علي مبادئه، وينشط كذلك لمعرفة كيف كانت نشأته الي أن استقر كفن مستقل .
وفي النهاية نتوصل الي هذه النتائج :
١ـ علم المناسبات مما يعين علي الفهم السليم
٢ـ المناسبات منها ما هو ظاهر ، ومنها ما هو خفي يحتاج الي مزيد عناية وشدة تدبر وزيادة تفكر ، ولهذا يجب الحذر من التسرع في تلمس النتائج وإظهار التناسب .
٣ـ علم المناسبات يعرف بمدي انسجام ووحدة القرآن .
وفي الختام أوصيكم ونفسي بتقوي الله تعالي، وحمل كتابه العظيم وخدمته بما يستحقه، والحرص علي النفع به وله، وذلك بالكشف عن العلوم التي تخدمه وتبين مقصوده ، وبذل الجهد في نشر العلوم والمعارف التي تلفت الأنظار من جديد الي كتاب الله تعالي، والتي منها هذا العلم.

المراجع

(١) الاتقان في علوم القرآن، المؤلف عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي المتوفي ٩١١هـ ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، (٢/٩٧٦).

(٢) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق سعيد مندوب، الناشر: دار الفكر، لبنان ط١ ١٤١٦.

(٣) إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث ببيروت.

(٤) أساس البلاغة: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الناشر دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥هـ.

(٥) الأساس في التفسير، سعيد حوي، دار السلام القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ.

(٦) أسباب نزول القرآن: للواحدي، تحقيق أحمد صقر دار القبلة، جدة، ط٢ ١٤٠٤،.

(٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن محمد بن عبد البر القرطبي(٣٦٨ـ ٤٦٣) تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها القاهرة.

(٨) أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين الأثير أبو الحسن بن محمد الجزري، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، ومحود عبد الوهاب، دار الشعب ،القاهرة.

(٩) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي ودكتور عبد العزيز شرف ط١، ١٩٩١، دار الجبل بيروت.

(١٠) الإشارة إلي الإيجاز: الحافظ عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، اعتني بطبعه رمزي سعد الدين، الناشر: دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٠٨.

(١١) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر، ، الطبعة الأولي، دار صادر، بيروت.

(١٢) أصول الفقه، وهبه الزحيلي .

(١٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، المطابع الأهلية، الرياض،١٤٠٣هـ.

(١٤) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، تأليف محمد أحمد القاسم، الناشر: دار المطبوعات الدولية، ط١، ١٣٩٩.

(١٥) اعجاز القران للباقلاني .

(١٦) الأعلام ،للزركلي .

(١٧) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، ج٦، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢.

(١٨) إمعان النظر في نظام الآي والسور ، للدكتور محمد عناية الله سبحاني ، (٢٥٨).

(١٩) امعان في اقسام القرآن لعبدالحميد الفراهي، المطبعة السلفية ١٣٤٣هـ .

(٢٠) الأنساب للسمعاني الإمام أبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفي سنة ٥٦٢هـ .١١٦٦م،اعتني بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليماني ،الجزءالخامس ،الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

(٢١) الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط٣، ١٤٠٣ هـ.

(٢٢) البحر المحيط ٢٦٣/٧، ارشاد الفحول ـ الشوكاني .

(٢٣) البخاري، كتاب الصوم.
(٢٤) البدر الطالع، محمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
(٢٥) البرهان في تناسب سور القرآن: تأليف أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي شهاب بن جعفر الغرناطي، الناشر: دار ابن الجوزي ط١، ١٤٢٨.
(٢٦) البرهان في علوم القرآن، للزركشي.
(٢٧) تاج العروس، للزبيدي.
(٢٨) تأملات في المناسبات ودراسة تطبيقية من القرآن الكريم ، د. نور الدين عتر.
(٢٩) التفسير الكبير، للرازي
(٣٠) التناسب في سورة البقرة ، للدكتور طارق مصطفي محمد .
(٣١) جامع بيان العلم وفضله ،لابن عبد البر، دار ابن حزم ،بيروت ،١٤٢٤هـ ،٢٠٠٣م .
(٣٢) دلائل النظام ، للشيخ عبدالحميد الفراهي الهندي .
(٣٣) سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي ٧٤٨هـ ١٣٧٤م ، الجزء التاسع ،أشرف علي تحقيق الكتاب وتخريج أحاديثه شعيب الأرنؤوط حقق هذا الجزء كامل الخراط ،الطبعة الأولي ١٤٠٢هـ .١٩٨٢م،.(١٨/ ١٥٣).
(٣٤) سير أعلام النبلاء.
(٣٥) شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي .
(٣٦) علم المناسبات في السور والآيات ، للدكتور محمد بازمول .
(٣٧) مباحث التفسير الموضوعي، مصطفي مسلم، دار القلم، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

(٣٨) مباحث في التفسير الموضوعي ، للدكتور مصطفي مسلم.
(٣٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٣هـ،(٣٤/١).
(٤٠) المحرر الوجيز، لابن عطية.
(٤١) معترك الأقران في اعجاز القرآن ، لجلال الدين السيوطي .
(٤٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني.
(٤٣) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس.
(٤٤) المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي ،رسالة ماجستير للطالب /عبدالله بن مقبل بن ظافر القرني ،إشراف الدكتور /عبدالحميد الأمين ١٤١٢هـ -١٤١٣هـ .
(٤٥) المناسبة في القرآن الكريم ، محمود حسن عمر .
(٤٦) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة ، من القرن الأول الي المعاصرين مع دراسة لعقائدهم و شئ من أطرافهم ،جمع وإعداد وليد بن أحمد بن الحسين الزبيري، المجلد الأول، الطبعة الأولي ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
(٤٧) نظم الدرر ، للبقاعي ، ط دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الهند ١٣٨٩هـ .